خطوط داخلية
في
لوحة الطلوع



شعر

محمد الفقيه صالح

الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان

عيسى يوسف العيسى

خطوط داخلية
في لوحة الطلوع

محمد الفقيه صالح

خطوط داخلية
في لوحة الطلوع

شعر

الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان

خطوط داخلية
في لوحة الطلوع

محمد الفقيه صالح

- الطبعة الأولى: الفاتح 1429 ميلادية (1999)
- كميــة الطبــع: 3000 نسخة
- رقم الإيداع المحلي: 3334/ 98 دار الكتب الوطنية بنغازي
- رقم الإيداع الـــدولي: ردمـك 4 ـ 0004 ـ 0 ـ 9959 ISBN

الـــدار الجمــاهيــريـــة للنشـــر والتــوزيـــع والإعـــلان
مصراته: هاتف: 614658 ـ 051 ـ 606086 ـ 021
ص.ب. 17459 ـ بريـــد مصـور 619410 ـ 051
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

* كتب هذه المجموعة
بين عامي 1973 ـ 1978 إفرنجي

*

* الرسوم الداخلية
مهداة من الفنان عمر جهان



● مفتتح

بي شهوةٌ للعبور إلى ضِفّةِ العشقِ والإنفلاقِ على صخرها.

حينما تشعلُ القلبَ حمحمةُ الشعرِ في الحلْقِ، أَوْ حينَ يسكرُ في داخلي الطفلُ مُنْذَهِلاً مِنْ وميضِ الحضورِ المباغتِ.

ها إنني أَفتحُ البابَ للداخلين.

تعرّوا..

وفُضّوا مغاليقَ أَحْلامِكُمْ..

هيِّئوا النارَ.

كَي يرشقَ الرقصُ زهرَتَه في هشيمِ السكونْ.

❋ ❋ ❋

تمزقات الرأس والفصول

(1)

مُحْتَضِناً جُروحي . .
نازفاً آتيكِ مِنْ وَجَعِ انطفائي
ومِنْ مَوْتِ التَخَلُّقِ في خلايا الحُلْمِ،
من سفري، بلا عَيْنَيْكِ . .
صارَ الجُرحُ ذاكرتي،
وإِيقاعَ إنفجاراتي،
ومشواري إلى المنفى .
فهلْ يُرضيكِ يا محبوبتي جرحي؟

(2)

تَتَخَلّقينَ الآنَ في حَلْقي

مخاضاً لَسْتُ أعرفُ كيفَ يأتي بعدَه الميلادُ.

هذا قلبيَ الموجَعُ في حُرْقَتِهِ ـ اللحظةَ ـ في حالةِ جَزْرٍ..

(غالباً ما يحملُ المدُّ زفيراً مثقلاً وجعاً)

ولكـــــنْ..

بين تلك الآهةِ الحرّى التي في صدريَ الدامي وبين الشفتينْ..

تنتصبينَ سَدّا.

(3)

على هامشِ الانتصار ـ الهزيمةِ نبكي معاً.
ونُصبِحُ في كلِّ يومٍ جراحاً جديدة..
ونُبصِرُ عَبْرَ المتاهة آثارَ أقدامهم
وهم يَنْزِفُونَ.
ويقتسمون الرغيفَ الملَطّخَ بالحزنِ والموتِ
والرغباتْ.
ونَبْلَعُ في كل صُبْحٍ بُصاقَ الجرائدْ..

(4)

ـ غُنْوةً كنتِ بقلبي.

ونشيداً راعشَ الإيقاعِ والنبرةِ، صوفيَّ الرؤى.

(غيرَ كلِّ أناشيدهم.

وغير صُراخِ المغنينَ عما يُقَرَّرُ في صالةِ الاتفاقاتِ، غيرَ جميعِ الأغاني ـ الدَمَاملْ).

ـ عندما كنتِ تسيرين معي

تحت (قوس النصر) داهمكِ اختناقْ

فتوقّفتِ وأَمْسَكْتِ يدي.

وتعلَّقْتِ بوجهي تبحثين عن الخلاص.

غير أني عَبْرَ تسياري إلْتَفَتُّ:

كانتْ وردةٌ تمشي على قدمين.



على تخوم زمن التواصل

وَمْضاً تنبثقين أَمامي في كل الطرقاتْ . .

(آهِ وأَنتِ النجمُ الراحلُ عن مملكةِ الليلِ وأنتِ التاريخُ المفجوعُ بذاكرتي) .

تـتـبـدّى أرجـاءُ الـصـحـراءِ الـمـوحـشـةِ الـعـتـمـةِ والصمتْ . .

يتقاسمني الزمنُ الأولُ والثاني

في المدنِ ـ الموتْ . .

يصبحُ وجهي وجهاً آخرَ،

شَبَقاً يحفرُ في أحشاءِ الرؤيا

ما أنجزه الطلْقُ،
وما يتشكّلُ في الرَحِمِ.
الصيرورةُ رايةُ عشقي.

* * *

جسدي مشدودٌ ـ في لهب الأمطارِ ـ إلى الرجْفَةِ،
والتَوْقُ المشرقُ يسري في نسغِ الأغصانِ، إلى العُرْي ـ
النورِ المُشْهَرِ في وجه العتمة.

* * *

تتألّق عيناكِ ـ اللحظةَ ـ وهجاً صوفياً..
تبتدأُ الرحلةُ.

أَسرارُ التجربةِ الأولى وطقوسُ الحمّى
تتكشّفُ عن زَخمِ التكوين الفائر.
تسْكُنُكِ الدهشةُ والرعشةُ والوجعُ ـ الفرحُ
المطرُ الواعدُ يأتي
يْهطُلُ منكِ (وفيكِ) العرقُ الغامضُ.
ترتحلين إلى أَرضِ الغبطة والسحرِ
وبالإخصاب تعودين.

❋ ❋ ❋

لا تندهشي.

فالريحُ المهتاجةُ في أرضٍ قَفْر

تعوي مثل كلابٍ مسعورة.

لكنْ..

لو دَخَلَتْ من ثُقبٍ.

لا تخرجُ إلا صوتَ صفير..

تقاسيم تكوينية

● مدخل:

تَرُشُّكِ الأشياءُ بالتوهّج الطريِّ،

والتَوَفُّزِ المسكونِ بالفُجَاءَة..

فيُشهر المخْبوءُ فيكِ عُرْيَه البريّ..

ويبدأُ الولوجَ في تموّجاتِ اللهْفةِ ـ التداخلْ.

● تكوين أول:

أُوّاه يا سَبَأَيّةَ العينين واللّون. انتزعتُكِ مِنْ تَواريخي الطعينةِ كي نعاني رحلةَ الإيغالِ أو لغةَ الرحيل معاً إلى مدنِ الطفولة..

لكنني ـ آهٍ ـ على أبوابكِ السدّية التكوينِ

داهمني التعبْ..

فَحلَمْتُ أنّي فوق نهديكِ الشراعيينِ مستلقٍ، وأنّي أَرْشُفُ العبَقَ المهيبَ الغامضَ الآتي من الزَهْرِ المعرّش فيكِ من وادي سبأْ..

● تكوين ثان:

تتجذّرُ الأحزانُ يا سبأيّةَ الأنفاس عبر تَجَدُّدِ الذكرى. فهلْ تدرين ما في شهقتي من شهوةِ التفجير داخلَ جوهرِ الأشياءِ؛ هل تدرين؟ كي تَتَبَرْعَمَ الرؤيا وتُخصبَ من مياه السَدِّ، إني الآن ـ يا سبأية التاريخ ـ مُنْتَظِرٌ وأَحلُمُ أنني. . . . . . .

. . . . آهٍ سيقتلني الظمأْ.

● تكوين ثالث:

وتَلْمَعُ الإشارة..

مندهشاً في ساحةِ المخاضِ كنْتُ أَرْقُبُ المياه
والعناصرْ.

تَنُوشُني الأشياءُ في تحولاتها.

فأنتشي برعشةِ الجَسَدْ.

وتُوقِظُ التعشُّقَ الغابيَّ فيَّ رقصةُ الجموحِ في
سوراتها المباغتة.

مُعَمَّداً أصيرُ في دوائر الطقوس والحرائقْ

بغبطة التجذُّر العميقْ..

وتحملُ الرياحُ للجهات منكِ نطفةَ البشارة..





خطوط داخلية في لوحة الطلوع

للزمنِ الآن طعمُ المحطاتِ، أَعْلَمُ أَنَّ جميعَ المحطاتِ أَقْفرتِ الآنَ، أَعلَمُ، والزمنُ المستغيثُ يساومُ في حَدْقَتيْكِ الجسارةَ، يرحلُ في الدغلِ، يستعطفُ الشهقاتِ التلاقُحَ. مَنْ يكشفُ السرَّ؟ أو يهتُكُ السْتَر؟ مَنْ ينزعُ القَشْرةَ الحائطيةَ عن جَسَدِ الوردةِ المتشكّلِ مِنْ مطرِ اللهْثِ والارتجاف؟

* * *

أَلْقَيْتُ ما أَوْرَثُوني، وأَسريتُ مِنْ حالةِ اللاحضور إلى لغةِ البحرِ. صِرْتُ إقتحاماً. وحين تَرَصَّدَ لي الزمنُ المتيبّسُ خاصَمْتُهُ. لستُ أنوي الرجوعَ إلى أنْ يفيىءَ إلى رُشْدِهِ ـ الطفلِ. غافلني الحزنُ. أَوْدَعَ في آهتي ما تيسَّر. آهٍ من الغدر. لكنني في جذوركَ يا جرحيَ المتَوَطّنُ منتشرٌ كالكآبةِ والليلِ في بلدتي الصامتة.

❊ ❊ ❊

أَتَتْ لحظةُ النَزْعِ والشعرِ. ينسحبُ العالمُ المستكينُ إلى بُرْجِهِ العنكبوتيِّ. يبزغ في الحالِ وجهٌ تَوَحَّدَ بالإئتلاق ـ البكارةِ، والكائناتِ الجديدةِ عند التخلّقِ. مَنْ يجرؤ الآنَ أَنْ يُوقِفَ المدّ والاندفاق؟ أنا ولدٌ مثقلٌ بالشراسةِ. يا سيدي الشعرُ: مَنْ يُوقِفُ المدَّ والفَتْحُ مندغمٌ بالجنونِ؟ ومَنْ يوقفُ الاندفاقَ وفي الرَعْدِ يستَأْثِرُ الماءُ والنارُ بالأرض والأزمنة؟

❊ ❊ ❊

منطرحاً كنتُ في لوحةِ اللامكانِ. اغتبطْ أيها العشبُ. صيّرني العشقُ نافورةً. اغتبطْ. حانَ دورُ الفراشات كيْ يُفْشِيَ اللونُ أسراره الداخليةَ. هل يُدركُ الزمن ـ النومُ، والزمنُ ـ القحطُ ما نحنُ فيه؟ وهل يعرفُ الساكنون مواعيدَنا البكرَ؟ والهانئون مغامرةَ الغوصِ فيما يخبئُه الطلعُ؟ لا عاصَمَ اليومَ إلا مَنِ اكتشفَ النبعَ، وامتَلَكَ الشارة الواعدة..

دفء الإبتهالْ
في حضرة الدمع والاشتعال..

● **حوار:**

أَخبروني أنَّ ما في الأُفْقِ قد ولّى. وأَنَّ تَلهُّفي عَبَثٌ. وعاشقتي استردَّتْ ما لديَّ، وأَيْقَنتْ أنّ الدروب طويلةٌ. فٱحترتُ: كيف نعبُّ أسرار النبوة والعواصفُ أُلْجمتْ فينا، وكلُّ سريرةٍ ضاقتْ بما تحوي؟

- السفينة هل تسير بغير ما...؟

- قالت: نعم... أدري.

- إذن فلِمَ السكونُ وكلُّ ما في الكونِ يَزْفُرُ آهةَ الخلْقِ. استردي بهجةَ الإشراق، فالبحر امتلاءٌ. باركي عُرْيَ الحدائق، واستَمّدي من ينابيع المياه صفاءَها المعطاءَ. فالدنيا انقسامٌ. - هل تدبْرتِ؟ - إنقسامٌ فاجعٌ والموت مُسْتلْقٍ على المابين.

● حوار داخلي:

الحُبُّ: هذا الذي لستُ أعرفُ كيف أُداريهِ أو أَحتويهِ. يقاسمني تَمْتَماتي الخفيَّةَ، مائدتي وسريري، ويلْبَسُني لحظة الإنخطافِ، وحين يُخيّمُ صمتُ المقابر، أو حين يشتدُّ بي لهفي للجنون.

● عرس:

تَنْهَلُّ في أَعماقيَ الظمآى انثيالاتٌ من الضوءِ المكثَّفِ. تنتشي فيَّ الغزالاتُ. الشموسُ تصيرُ مِلكي. والمداعبةُ، المناغاةُ الحميمةُ والتواصلُ أَحرفُ اللغةِ التي تأتي انبثاقاً. أَنزوي في ركن زاويةٍ فتتبعني الشرانقُ. تحتفي الأشياءُ بي وتشيع في الأرجاء موسيقى ابتهالٍ، والوريقاتُ الصغيرةُ وَشْوَشَتْ: بُشْرى. يصير الأحمرُ الشفقيُّ سيّدَنا، ويعلو الهمسُ، يعلو الهمسُ، والأصواتُ تمضي في تشابكها. الأكُفُّ تنزُّ في حمّى التلاصق. تُفْغِمُ الجوَّ البهيجَ سخونةُ العرقِ الشهيِّ. تنوءُ أشجارُ الحدائقِ بالثمار وبالشذى، ورفيفُ أجنحةِ الطيورِ يَنِثُّ في الأسماءِ تنويعاً على لحن التوحّدِ. يستحيلُ اللونُ. تصطفقُ النوافذُ. إنها

الريحُ. استطيبي، وافتحي الأكمامَ. ميعادُ الهطولِ أتى، وموسيقى التداخل مَهّدتْ للريحِ إيقاعَ الخصوبةِ. افتحي. فالريحُ تصهلُ في الفضاءِ بلا لجامٍ، والأَعاصيرُ الملولةُ آذَنَتْ بالبدءِ كي يَنْشَقَّ بَطْنُ الأَرضِ أو عينُ السما عما يفيضُ ويجرفُ الكونَ القديمْ..

● **هامش:**

أخبرني مَنْ رأى:

أنّ ما يحدثُ الآن فوق حدود الخيال.

وأنّ الورودَ، الثمارَ، البذورَ الوليدةَ في نبض

عاصفة البذل والإمتياح تمارس شهوتها للتحققِ.

أخبرني قال:

وجهُ البسيطةِ أضحى بساطاً بهيّاً.

يجلّلهُ الإخضرارْ.



بطلعتها.. تهجس الأرض والذاكرة



بطلعتها.. تهجس الأرض والذاكرة

مُثْقَلَةٌ عيناي بغيبٍ مأْهولٍ وامرأةٍ ضاريةٍ أَدْمَنْتُ حرائقها المجنونةَ. أركض في بريّةِ هذا العالم، كبدائيٍّ أَطْعَنُ صَدْرَ الأرضِ برمحٍ ناريٍّ فيضيءُ البرقُ وتطلُعُ بَلْقيسُ المعجونةُ من رَهَجِ الأسطورةِ ودوارِ الصيرورةِ تكشفُ عن ساقيْها الخمرييْنِ فتَنْبُتُ أزهارٌ في القَلْبِ، وتنبهرُ الأحداقُ بفوضى الألوانِ وفورتها.

أَرقصُ أَمْ أَبْكي؟

أَمْ أعجن بالرقصةِ عنفَ الرقّةِ؟

أمْ أَتمالَكُ نفسي مُحْتَشِداً حتى ينْبَجِسَ النبعُ
فأصبح طيراً منفعلاً؟

الكَوْنُ عظيمٌ ورهيبٌ وحميمٌ.

كحضورِكِ في القلبِ على صهوات البَغْتَةِ، أَخْتارُكِ
وطناً يغمرني برذاذ الفرحِ، وأُفْعِمُهُ بجنوني وشراسةِ
نزقي.

أَتَمَرَّغُ في تُرْبَتِهِ المسحورةِ مَمْسُوساً بخلائقَ لم
ترها عَيْنٌ.

هذي امرأَةٌ تملكني..

وتقودُ خطاي وقلبي صوبَ فلاةِ الضوءِ

وها أَنَذَا منفيٌّ في زمني،

مشدودٌ لغُبارٍ وصهيلٍ يتناثرُ.

هل قلتُ: سمعت هديراً فتَشَظَيْتُ نثاراً شوكيا؟

(تلك البريةُ ملكوتٌ لخرافتها.

وهنالك في الأفق العِربيِّ.

دماءٌ تهجسُ بقيامتها).

* * *

أَرْحلُ في عيْنَيْكِ،

فأُبْصِرُ مِجْمَرَةً وهيولى تَتَشَكّلُ أَطياراً شائكةً،

أَسْماكاً تركُضُ في الصحراءِ.

وَوَجْهُكِ يعصمني

أَتكثَّفُ بهَسيسِ العشبِ وبالزَغَبِ الناعمِ وهو ينوش مسامي.

فأُرفرفُ تحت النهدين.

وتحسدُني أطيارُ البريّة حين تراني مَزْهُوّاً

أَتهادى في هودجِ أُبَّهَتِي.

فأقولُ: ارتحلتْ فيَّ الصبواتُ بلا حدٍّ.

وأَقول: انقسمتْ مملكتي.

* * *

دَثَّرني أَهلي

حين رأوني أهذي بتعاويذي.

مشتعلاً كعروق البرقِ.

ومنتشراً في كل زمانٍ.

أَهتفُ: إني مزدهرٌ بغموضٍ يومضُ في ذاكرتي.

أهتفُ: هذي بوّابتُنا مُشْرَعةٌ

وسفينتُنا تَسْتَلْقي في صَمْتِ الشاطىءِ

يُقْلِقُها شوقٌ لهياجِ البحرِ وفرحتِهِ.

ماذا أُسَمّيكِ.. وأَنتِ البدءُ وقارعتي.

القلب هدّته القصيدة

(وردة على قبر الشاعر علي قنديل)

● **مدخل:**

استَنَدْتُ إلى حائطٍ عند باب المدينةِ،

أَسْتَكْشِفُ الوقعَ،

قابلني طفلُها. قال: ماذا؟

اسْتَفَقْتُ.

وقلتُ: تُرى كيف حالُ العصافير والوَردِ؟

قالَ: اخْتَفَتْ في المجاهل. ما تبتغي؟

قلتُ: جئتُ لكي أصطفي وردةً.

قال لي: الوردُ صَعْبٌ،

وما في الدروبِ سوى نأمة تُثْقِلُ القلْبَ وحشتُها

● **حوار:**

في الليلِ تَنْتَفِضُ المواجعُ

والمدى صمتٌ وإيغالٌ وخوفٌ.

نقتفي آثارها؟

أم نَقْتَفي طفلاً به شردتْ رؤى المجهول؟

يشتعل المدى من حسرةٍ.

ـ هذا هو الزمن المقامرُ.

تَمْتَمَتْ مِنْ حوليَ الأشياءُ.

فاندلعتْ بجوفي عتمةٌ وخصومةٌ.

ـ الطفلُ غَيَّبَهُ دجىً كالنور.

آهٍ أيها الطفلُ المدَجَّجُ بالعرافةِ،

كمْ لَعَنَّا هذه المدنَ التي تنهارُ والمدنَ التي تطغى.

وكَمْ ليلٍ سكرنا في مقاهيها،

تسكّعْنَا كأشباح الخرافة في حواريها.

ـ وهذا الليل؟

هذا الليلُ صندوقٌ به يتمدّدُ الإبهامُ والسرُّ المحيِّرُ.

ـ قاهرٌ ما يغتلي فينا.

ولكنَّ الشقوق تزيدُ،

تلْتَهِمُ الأَجِنَّةَ من بقايا الشوقِ في أحلامنا العطشى
فنُقْعي..

وجهه: رؤيا.

وعيناه: اشتياقٌ للسنا.

والقلبُ هدّتْهُ القصيدةُ فٱرْتَخَى تعباً،

القلبُ هدّتْهُ القصيدةُ فارتمى..

● **هامش:**

تساءَلْتُ: هل أُخْبرُ النيلَ؟

أَمْ أقذفُ السرَّ في صمت ليل القرى والمدائن؟

كيف؟؟

وأَنْتَ الذي هامَ مرتحلاً في اشتهاءِ السماءْ؟

تساءَلتُ..

كان المدى مُطْرِقاً والسماءُ صريعةَ.

فما كنتُ أعلم أنَّ الورود مخثَّرة بالفجيعة.

تحولات في دورة الأشياء

● اليوم الأول:

- صباحَ الخير

- . . . . . .

(يا صباحَ الإنقباضِ في الوجوه والخواءْ).

أَعُوذُ بالنافذةِ التي تفتح باتجاهِ البحرِ، أشتهي الفناءَ فيه، غير أَنني سرعان ما أَغرقُ في تفاهةِ الأشياء وهي تغتذي بسأَمِ الموظفين والملالةِ التي تدبُّ كالسلاحفِ. الفراغُ لا يَسُدُّه السُعالُ، لا تَسُدُّهُ الثرثرةُ الخرساءُ. والقهوةُ لا تكفُّ، والتبغُ، وعتمةُ العيون لا تكفُّ عن

حصار الروح. أنزوي، يدور جدلٌ طويلٌ حول ٱمرأةٍ فرّتْ مع حبيبها. الموظفون يلعنون «سلسفيل» جدها. أَحتجُّ رافضاً، واستجير بالنافِذَةِ التي تفتح باتجاه البحر.

● **اليوم الثاني:**

أقولُ: ما هذا العمى الذي أصابني؟

النساءُ، والأشجارُ والأطفالُ، والأنوثةُ التي ترفُّ في ثنايا الكون، والأمطارُ، والبحرُ الذي يَفِحُّ، والعشبُ المنَدَّى،

غَبَشُ الصباح، ساحةُ الميناء حينما تَعُجُّ بالعمالِ، لسعةُ البردِ، ورعشةُ الأجسادِ، والنوافذُ التي يُشِعُّ منها الدفءُ والأسرارْ..

أقولُ: هل إيماضةٌ تجيءُ كي تُوقِظَ فيّ جذوتي؟

وكي أرى ما لا أرى؟

• اليوم الثالث:

أَجلسُ قرب النافذة..

أَشهدُ باقاتِ البناتِ في صباحِ اللّهْ.

أقولُ: يا صباحَ الفُلِّ والنعناعْ.

فتجفُلُ الغزالةْ..

ويستقرُّ في قرارِ القلبِ نزقُ الأنوثة..

وحينما أرى تَفَتُّحَ الأسرارِ في الجسدْ.

ينْشَرِحُ التوازنُ المقيمُ داخلي:

(سبحانَ هذي اللغة التي تهُزُّ أرضَ الشارع الصمَّاءْ.

وتزرعُ الغموضَ في وضوحِهِ).

● اليوم السابع :

أَيْنعي فيَّ

اشعليني، أو فاشتعلي في خطواتي.

انزعي مني هموم البورجوازيِّ الصغيرْ . .

واجعليني في خطى الأطفال إيقاعاً.

وفوق جباههمْ ومضاً . .

وشُقّي بي دروبَ الارتقاءْ .

● **اليوم الخامس:**

تتقاسمني الحيْرةُ إذ تتلبّسُني الأحزانْ.

أرسمُ وجهَ العالم مُنْتَهكاً بمخالبهم.

وحزيناً ومهانا؟

أَمْ أَرحلُ مطعوناً بالشعرِ إلى ملكوت الحلْمِ

فأرسمُهُ وجهاً يتفتَّحُ إذ تتفتَّحُ في أرجاءِ

الدنيا مملكةُ الإنسانْ؟

خطواتي تائهةٌ وأنا بين الوجهين مدانْ..

● اليوم السادس:

هذي كلماتٌ أَغمسُها في ماءِ القلْبِ،
وأَنثرها في شمسِ الدنيا.
أُلْبسُها أَجنحةً، وأَقولُ: انطلقي
لا تَنْفلقي..
إلاّ في أرضٍ تتوهّج فيها الوردةُ،
والنارُ ـ الخيلُ.
وينكفىءُ الليلُ.
على وقْع الفرحِ المتوفز في زغب الأطيار.

● **اليوم الرابع:**

أَسيرُ في الصباحِ خلف ثُلّةٍ من العمالْ:

- صباحَ الخير.
- يا صباح الورد.
- كيف الحالْ؟
- الحالُ عند السيّدِ المديرِ، أو في مكتب التحقيق، أو في مجلس النقابةِ الذي يقومُ بمهامِ الأمنِ حينما يضجُّ في صدورنا الغضبْ.

يلتفتُ العمالُ نحوي.

يجفلون إذ يرون معطفي الثقيلْ..

ويُسْرَعون صامتين.

الحـروف

في ملكوتِ الليل.
تنعتقُ الطيورُ المرُيبةُ من بيوض النهارْ..
وتنطلق باتجاهِ الغرابة،
وصَوْبَ الوجيب العاري في لهفة الكائنات.
وبين فجواتِ الأشياء
ينبُتُ شوكٌ من الأسرار
كالفحمِ النيء..
وفي خَيْمةِ الليل

أَنْطوي على نفسي
زهرةً خاوية
تمتدُّ وتنمو
في أَصيصِ الأرق..
ولا شيء يعلو أو يرفّ
سوى نخلةِ الأسئلة:
مَنْ سيخضُّ الحروف
وهي تَدِبُّ كالنملِ المترهل.
فوق قشرةِ العالم؟

وَمَنْ يُذِيبُ الحروف
لكي تتسرَّبَ إلى الأعماق
حيث الأرض تختضّ
ساخنةً بغضب مكتوم.
وحيث الطقوسُ التي في جحيمها.
ترتعدُ الأطرافُ مقرورةً
وَمَنْ يشُكُّ الحروف
وردةً قاسية
في رمادِ المواجع؟؟

قــراءة

تنْهَمِرُ الأمّهَاتُ على بقعةٍ مِنْ دمٍ تتنامى . .

العيونُ : انكسارٌ ورَوْعٌ ،

وعَتْمٌ يُوَقِّعُ في غمرةِ الحزنِ تَرْتيلَهُ المأْتميّ . .

الوجوهُ : انهماكٌ وأَسْفارُ فاجعةٍ . وانتحارٌ بطيء . .

ينْفَلِتُ الدمعُ .

تعلو المناحاتُ :

- يا حَبَّةَ العين والقلبِ يا . . .

(ينكشفُ الآنَ وجهُ القتيلِ وقد شوّهتْهُ الخناجرُ) .

- يا ولدي . . إنه ولدي . آهِ يا . . .

- أُصْمدي . .

إننا نقرأُ القتلَ في كلِّ وجهٍ يضيء

ونقرأُ في كل وجهٍ يضيء .

زماناً يجيء .

إيمـــاءات

غابةٌ تُومىءُ لي

ونشيدٌ صاعِدٌ من شهقةِ الفجرِ ومِنْ رفرفةِ الموجِ،

ولا أَدري لماذا

يذبُلُ الوقتُ ويفتضُّ البكاءْ

ما تداريهِ المرايا المعتماتْ

في جحيم الذاكرة

حينما ينهمكُ الشاعرُ في غمرةِ ما أَطْلَقَهُ الينبوعُ لا

أدري لماذا

يَخْدِشُ الأعماقَ والرؤيةَ قشُّ الانقباض . .

* * *

واحةٌ تومىءُ لي
ونداءٌ دافىءٌ ينسابُ
حتى تَلْذَعَ القَلْبَ عراجينُ البلح .
وأنا ماضٍ إلى صيْرورتي ،
مُسْتغْرِقٌ في مِصْهَرِ الحيرةِ
ما بين انغلاقِ الغابِ في ظُلْمَتِهِ ،
وانسراحِ النورِ في عُرْيِ البراري .

حاملاً صمتي معي . .

حاملاً ضوءاً خفياً في دمي ،

وحنيناً

للمواعيد التي تبرقُ في بدءِ المسافاتِ ، وتَنْحَلُّ مع النسْمةِ ،

أو تلقُفُها الأطيار في هجرتها .

* * *

آهِ لَوْ تَنْفَعِلُ الغَيْمةُ في جَوْفِ سمائي . . .

آهِ لَوْ تخرجُ مِنْ إذعانها

ثمَّ تنقضُّ على أبعاضها

فأرى شؤبوبها الصاعقَ يشتدُّ

إلى أَنْ يعْصِفَ الوجدُ البدائيُّ بقلبي.

هائماً في الأرضِ،

تَسْتَنْفِرُني معزوفتي:

مَنْ تُرى يرجع بالإنسانِ مِنْ مِحْنَتِهِ؟

يقتفي صبوةَ هذا الزمنِ الهاربِ مِنْ لَعْنَتِهِ؟

يمضي إلى آخرةِ الليل ولا يتعبُ،

أو ينْسِفُ هذا الوجعَ الموزونَ

في ماءِ العيونِ المطفأة؟

❊ ❊ ❊

أَنْسَلُّ مِنْ زَمَنٍ غرابيٍّ إلى زمن يناوش خاطري.
أَنْجو بنفسي منْ أسى نفسي المقَفَّى
أَرْتمي تحت الشجيْرات الصغيرةِ،
أَشْربُ «البيبسي» بلا فرحٍ،
وأَعْبثُ بالفراشاتِ الأنيقةِ،
ثمَّ أُدلقُ ما تبقّى مِنْ مراراتي على العشب الطريِّ.
الناسُ حولي يهزؤون ويضحكون.

(الكائنُ النفطيُّ يضحكُ!! يا إلهي.. الكائن
الـ...).

الآن قُدّامي على الكرسيِّ تجلس مرأَةٌ كالهَمْسِ
تُومئُ لي..

فأنهضُ نحوها..

مستبشراً أَشدو وأَرْقصُ:

إنَّ في الإمكانِ أُنْثى

تحتوي قلقي

وتُؤْويني.

وتُفْسِحُ لي مساربَ نحو جنَّتها.

وتُفْعِمُني بكوثرها الشهيّ.

❊ ❊ ❊

حين إئتلفنا

وابتدأنا في مراسيم الفرحْ. .

هيأْتُ نفسي لاحتمالاتِ القصيدةْ. .

لكنّ شُرطيّاً تَسمّرَ بيننا.

فرجعتُ مكتئبَ الخطى:

لا تَجْلِسُ امرأةٌ إلى رجلٍ هنا.

إلاّ وبينهما. . . (تلاشى الاحتمالْ).

إنطفاء

أُجرجرُ في تَعَبٍ قدميّ

وأُومىءُ بالرأس للصحبِ

(إذْ يذرعون الشوارعَ

تسحقُهم غربةٌ كافرة)

وتعصفُ في القلبِ صَبْوةُ عُمْرٍ ولوعتُه، حينما أُبصرُ امرأةً وجهُها مُتْرعٌ بالخبايا الجليلةِ،

أَصْرخُ كالطفل: إمرأةٌ.. إمرأة..

يزدريني المشاةُ،

وَيَسْتَنْفِرُ الدركيُّ الغبيُّ هراوتَهُ.
آهِ يا زَمَنَ الاستباحةِ.
قد ملأَ القَيْحُ قلبي..
وها أَنَا أكتمُ في داخلي صرخةً،
وأعودُ أُجرجرُ ـ مُنْطَفِئاً ـ قدميّ.

مقاطع ليلية

اللّيلُ القابضْ

والأيدي الممدودة . .

كالشجرِ الناهضْ .

مِنْ قلبِ الأرض المكدودة . .

* * *

مُنْسَفِحاً فوق الأرضِ العطشى

أشكو عطشي

وهي تلوبُ وتُقْعي

يُنْهِكُها في زمن القحط لهاثٌ منكودٌ أعمى.
يلسعني شوكُ تَوَجُّعِها.
فأُداري وجعي،
وأُغنّي:
لَوْ أنّي برقٌ وسيولْ
لو أنّي..
آهٍ لكنّي
وعدٌ مغلولْ

* * *

أَتَوَحَّدُ بالنخلِ السامق

في ليلِ الصحراءِ الموحش . .

أتَجَذَّرُ في أحشاءِ الأرضِ

أَذوقُ خباياها . .

وأَحِنُّ إلى أصلي .

لكني في نبض الليل الراكدْ . .

في نبض توترنا الصاعدْ . .

أشتاقُ إلى وَصْلٍ يتنامى

بين الوحشةِ والفرحِ الشمسيّ . .

مقاطع صباحية

(1)

ساوَرَني وَجْهٌ كنتُ رأَيْتُ ملامِحَهُ في الصحْو.

طَلْقاً مثل أساريرِ الفجرِ،

ومُغْتَبطاً كعصافير البريّة..

ساوَرَني..

فازدهَرَ القلبُ

ونَدَّ بذاكرتي موجٌ وشراعْ..

حاولْتُ تذكُّرَه في الغيبةِ

لكنّي أخفقت..

(2)

يَسْتَهْويني عصفورٌ يتقافز في الجسد ـ السمكة
يتوامضُ في العينين.

تستهويني اللغةُ البكرُ على الشفتيْن
وفي الصدْر المهتزّ. .
فأكُسِّرُ قوقَعتي.
وأَهيمُ على وجهي
في الصبحِ النافضِ عنه غبارَ النوم. .

❊ ❊ ❊

(3)

مَلْعُونٌ من لَمْ يَرْقُصْ
في حَضْرةِ أُنثى - أُنثى.

* * *

(4)

سِلْكٌ موصولٌ بدمائي
يبدأُ مِنْ عَيْنَيْها.
وأنا وَتَرٌ مشدودٌ بالغبطة..
هلْ ينْشَحِنُ السِلْكُ
لكيْ تنفجرَ الفوضى
والأَشواقُ الفذَّةُ في أعصابي؟!

* * *

(5)

مُتَّسِعٌ كالنهارِ البهيجِ رجائي

ومُنْكَتِمٌ ألمي . .

إنّ في جبهتي وردةً

تتجهَّمُ إِنْ هاجَمتْها الأصابعْ .

تَشِفُّ إذا داعبتْها الطفولةُ ، أوْ حاورتْها المياه . .

* * *

تَرِفُّ المناديلُ دافئةً بالمحطاتِ في لحظةِ الإرتحالِ،

وتَنْثالُ في الجوِّ بيضُ الأماني:

- ترعاكَ عَيْنُ الإله.
- احترسْ من صقيعِ الليالي.
- يرافِقُكَ السعدُ.
- اكتبْ لنا.
- إننا بانتظارِكَ.

شيءٌ مِنْ الوجْدِ يأخُذُني الآنَ مِنْ وحدتي،
وينثرني في فضاءِ الأغاني.
ولا سرَّ..
لا سرَّ..
شَمْسٌ تبوحُ بما عندها كل يومٍ
وأَشجارُ نخلٍ تنوءُ بأثقالها
وتمتدُّ سامقةً
ثم ينفجرُ السعفُ الغضُّ في رأسها
ويشتعل الرملُ بالعشقِ مِنْ تحتها

فيَخْضَرُّ في القلب طيْفُ امرأة . .
على شكل زيتونةٍ
بين أغصانها يلْثَغُ الآنَ طفلٌ
نُسمّيه: فجر الوطنْ.

* * *

ولا سرَّ . .
لا سرَّ . .
ذا وطنٌ يستحيلُ إلى نجمةٍ في عراءِ الليالي
وذا قَلَقٌ غافلٌ عن لهاث الثواني

يرفُّ به القلبُ

والصمتُ باديةٌ سَمْحَةٌ يتسلّلُ في أفقها

قمرٌ مترعٌ بالحكايا

أَمُدُّ له سعفةً

وأُريقُ ابتهالاً.

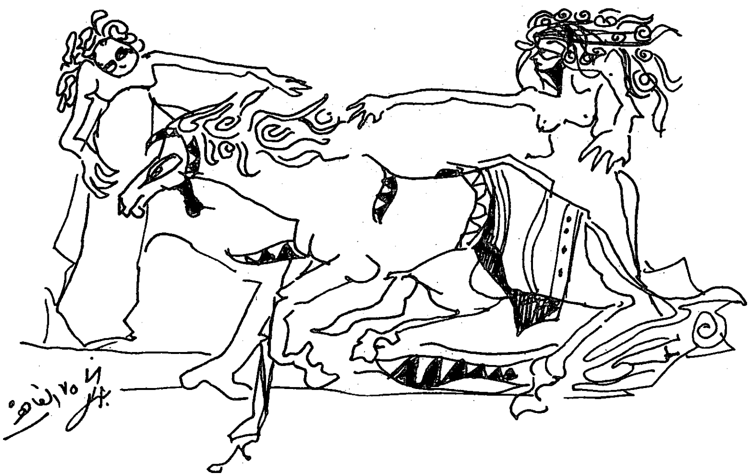
وأدعوه للرقص:

«ذي لحظةٌ يملأُ الصَفْوُ أَعطافَها.

هل تجيء؟»

ولكنه افترَّ عن بسمةٍ ثم غادرني.

تاركاً نجمةً كنتُ خبّأْتُها في الحنايا،
وإيماضةً عند بوّابةِ الأفقِ.
ها أَنذا أَنتشي في السكونِ الفسيحِ
بإيقاعِ بطءِ التخلّقِ،
أو بانفتاقِ الدجى.
وهذا انفجارُ العصافيرِ بالرقصِ.
زغرودة الأرضِ في مهرجان الولادة.



جدلية البحر



جدلية البحر

لموج البحرِ مُفْرَدةٌ.
ولي كالبحر مفردةٌ.
ونبضُ الغابةِ العذراءِ سرٌّ بيننا.
طفلٌ أنا
بالسرِّ مأْخوذٌ
طفلٌ أنا
والبحر مُصطَفِقٌ..
طفلٌ...
(أَهذي غابةٌ؟!
أم يا تُرى جسدٌ خرافيٌّ؟!)

* * *

يَهُبُّ البحرُ منتفضاً . .

يقولُ: أَتَيْتُ . .

فانكشفي عن الكنز المخبَّأ فيكِ،

وارتاحي على زندي.

افتحي لي بَارِقاً مِنْ فَيْضِكِ الكونيِّ.

كي أمضي إلى لغتي.

وأمنحك اعترافي.

إنني فرحٌ هيوليٌّ
وإمكانٌ لمدٍّ يجرف الأوجاعَ.
لي أُفُقٌ يبيضُ الشمسَ صارخةً
ويستلقي..
فتهرع نحوه أُنثى مؤجّجَة.
ولي فيكِ إمتدادُ الشوقِ،
لي موجٌ من الشهواتِ،
لي زخّاتُ موسيقى.

* * *

صباحَ الخير أَيتها الفراشةُ
هدّئي مِنْ رَوْعِك الطفليِّ
واستَلْقي على الأعشابِ.
رفرفةُ الرموشِ ودهشةُ التحديقِ
بَرْزَخُنَا إلى عَبَقِ البكارةِ.
إنكِ الآنَ اشتعالٌ في خيال البحرِ.
مبتدأُ المواجدِ،
واصطفاقُ الأشرعةْ.
حُلْمي يفورُ

وخافقي يشتدُّ . .

فانتبهي . .

ورُدّي طرفَكِ الهفْهافَ

إنَّ اللؤلؤ الشفّاف أَخّاذٌ

وعيناي استفاقتْ فيهما الحمّى .

ولُمِّي شعرَكِ الوحشيَّ . .

(هلْ هذا الكيانُ العامرُ الوضّاحُ مِنْ زَبَدي؟

وهل أنا خالقٌ ما فيك؟ !)

أَيْقَظني ابتهالٌ ردّدَتْهُ الكائناتُ بقاعيَ المكْظومِ .

أَيْقظني اندلاعُ الودِّ بين القِرْشِ والسمكِ الصغيرِ،
وأَيقظتني غبطةُ الأعشابِ.

أَيْقظني سؤالٌ في احتدامات التحوّلِ:

هل هو الميلادُ؟؟

كانتْ نَفْحَةٌ من فيضكِ الفوّاح تخترقُ السُجُوفَ،
تفضُّ كلَّ خصومةٍ بين النقائضِ في دمي.

جدلية الغابة

أَتَمَدَّدُ فوق رمالِ الشاطىءِ
مكْتَظّاً بنداءِ البحر،
أَجُسّ بقلبي نبضَ الغابةِ خلفي،
أو أستافُ عبيرَ بكارتها.
تَتَفَتّحُ من حولي الأشياءُ
وتَشْتَجِرُ الرغبات:
آهٍ لَوْ تطلُعُ مِنْ هذاالفجرِ الغابيِّ،
وتغمرني بالخصبِ الناشبِ في رَحِمِ الغاباتْ.

آهٍ لو تطلُعُ فائرةً وتهدهدني:
لا تُغلِقْ قَلْبَك..
لا تُغْلِقْه..
إستأْنس حَوْلَكَ ما يستعصي،
إستأْنسني..
عذراءُ أنا..
خَلَقَتْني الموجةُ عاريةً،
وَرَمَتْني في رهج الغاباتِ.
انحتْني..

جُسَّ بآهات الخَلْقِ هيولايَ

ولا تجزع . .

هذا جسدي مُحْتَشِدٌ بجنونِ البرقِ ،

وهذا شَعْري مُنْدَلِعٌ كالصرخةِ في الأغصانِ

وذا نهدي مَسَّتْهُ النسمةُ

فاهتاجتْ رغوتُه .

إني امرأةٌ دَهَنَتْني آلهةُ الموجِ

بزيتِ الجوز الهنديِّ ،

وخلّتْني في صهد الشمسِ .

إلى أَنْ طابتْ فاكهتي .

* * *

أعراسٌ تَنْشُبُ في الأعماقِ،
وأجراسٌ تفتضُّ الصمتَ بفوضاها.
فلماذا لا يتحولُ هذا الكونُ إلى عصفورٍ مرتبكٍ؟؟
النَّمْلُ هنا، والحرباءُ الحيْرى
والعسلُ اللامعُ فوق ثمار الموز
وأشجار المانغو
ونصاعةُ مُرْجانِ الشاطىء.

موسيقى الموجِ،

وموسيقى الألَوان،

وإيقاعُ الخضرة.

خَشْخَشَةُ الورقِ اليابسِ،

واستنفارُ الحذرِ الهاجسِ

في الحشرات المخْتبئة..

إيماءٌ.. واستدراجٌ.. وخطى خجلى.

إيلافٌ في أعشاش الدفءِ،

فهَمْسٌ منفعلٌ،

فدَوَيّ..

ما أَجْمَلَ أَنْ تَشتبكَ الأيدي

ما أبهى أنْ يتسلّلَ رجلٌ وامرأةٌ ـ كالجمرِ ـ إلى أدغال الغابِ،

ويشتعلان . .

«جزر المالديف»

الفهرس

لموجِ البحرِ مُفْرَدةٌ.
ولي كالبحر مفردةٌ.
ونبضُ الغابةِ العذراءِ سرٌّ بيننا.
طفلٌ أنا
بالسرِّ مأْخوذٌ
طفلٌ أنا
والبحر مُصطَفِقٌ..
طفلٌ...
(أَهذي غابةٌ؟!
أم يا تُرى جسدٌ خرافيٌّ؟!)

خطوط داخلية
في
لوحة الطلوع



محمد الفقيه صالح

شعر

الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان

مصراته ، ص.ب. 17459 . هاتف : 614658 . 051 . بريد مصور 619410 . 051
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

ISBN 9959-0-0004-4
9 789959 000040